

علماء الإمامية في بلاد الحرمين في القرن الحادى عشر  
على ضوء كتاب العلامة آقا بزرگ الطهراني  
(الروضۃ النصرة في المائة الحادیة عشرة)

(١)

وسام عباس السبع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

أثناء اطلاعه على كتاب الروضۃ النصرة في المائة الحادیة عشرة<sup>(١)</sup> للعلامة الكبير آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م) استرعى انتباھي الحشد الكبير من علماء الإمامية الذين جاوروا مکة والمدينة لفترات متفاوتة ، فالبعض ولد في أرض الحرمین ، والبعض الآخر جاور العتبات المقدسة لبعض سنوات من حياته ثم آثر الرجوع لمسقط رأسه ، فيما البعض الآخر قرر قضاء سنوات عمره الأخيرة بجوار بيت الله الحرام أو مرقد النبي ﷺ بالمدينة ليُدفن في أشرف البقاع .

(١) سنعتمد في هذا البحث على النسخة التي صدرت ضمن موسوعة (طبقات أعلام الشيعة) عن دار إحياء التراث العربي ط ١ ، بيروت ٢٠٠٩م ، الجزء الثامن ، القرن الحادی عشر .

وأمام هذه الوفرة في المعلومات وغزارة المادة التاريخية حول الموضوع، وجدت من المناسب أن أقدم قراءة موجّهة لهذا الكتاب القييم، أستقصي فيها ملامح الدور العلمي والأدبي لعلماء الإمامية في بلاد الحرمين، وذلك من أجل تحقيق الأهداف التالية :

**أولاً** : إبراز قيمة التراث العلمي الذي تركه شيخ الباحثين الحجّة العلّام الشيخ آقا بزرگ الطهراني رض .

**ثانياً** : إيصال ملامح الدور الإمامي في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) في (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة) من خلال إعادة اكتشاف دور علماء الإمامية وإسهاماتهم في رفد الحركة العلمية والأدبية في ذلك القرن .

**ثالثاً** : تقديم دراسة متأنية وهادئة للجذور التاريخية للوجود الإمامي في مكة والمدينة ، وهو وجود عريق يتصل بمرحلة صدر الإسلام في القرن الأول الهجري ، وإزالة الغموض المرتبط بالتاريخ الشيعي في هذه المنطقة نتيجة سيادة رؤية أحادية تُقصي التأثيرات الشيعية من الذاكرة التاريخية لأسباب ودواعي طائفية ترهن بشكل كبير لما يجري اليوم من تحولات وأحداث سياسية وصراعات دولية .

**رابعاً** : محاولة إبراز صفحة مشرقة من صفحات التواصل الفكري المثير بين علماء الإسلام بمختلف طوائفهم ، وهي صفحة من تاريخنا الإسلامي المجيد تبعث على الفخر والاعتزاز .

هذه هي أبرز الأهداف التي يتوخّها الباحث ، ويسعى للتأكيد عليها ، فإنّ وُقْفَ في ذلك فذلك من فضل الله ، وإن أخفق فله شرف المحاولة ومسعى التلميذ .

ولقد استفدنا من بعض المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع البحث ، ويأتي كتاب **فرحة الأنام** في تأسيس بيت الله الحرام للحسيني الكاشاني وأمل الآمل للحرّ العاملی ، وتمميم **أمل الآمل** لعبد النبي القزوینی ، وسلافة العصر لابن معصوم المدّنی ، وحياض العلماء ورياض الفضلاء لمیرزا الشیخ عبد الله الأفندی ، من أهمّ المصادر التي اعتمدنا عليها ؛ لأنّها أضافت عنصراً جديداً ومعلومات وفيّة على هذه الدراسة ، لاعتبارات ثلاثة :

- لأنّها مصادر الشیخ الطهرانی نفسه في كتابه **الروضة النّضرة** .
- لأنّها مصادر تشتّرك في الموضوع نفسه و تعالج فترة زمنية واحدة .
- وحيث إنّ الطهرانی عالج مادّته باختصار ، فإنّ هذه المصادر زوّدتنا بتفصيل أكثر وأضاءت جوانب مهمّة لم يشاّ الطهرانی بحثها بتوسيع **الروضة النّضرة** ، وإنّما قدّم ملامح رئيسية هي بمثابة مفاتيح تخدم القارئ الذي يريد التوسيع في دراسة الشخصيات والأعلام الذين ترجم لهم .
- أمّا بالنسبة للمصادر الأخرى ، فمنها : مجموعة كتب حدیثة تبحث في تاريخ تلك الفترة الاجتماعي والثقافي ، فضلاً عن المقالات والأبحاث المنشورة في عدّة كتب أو مجلّات تبحث في تاريخ المنطقة بالنحو الذي تكشف عنه المصادر والمراجع الواردة في هوماش البحث .

و قبل أن أختتم هذه السطور ، بودي أن أتقدم للصديقين العزيزين اللذين ساهموا في قراءة مسورة هذا البحث وأغنياه بملحوظاتهما القيمة ، وهما : الأستاذ السيد علي السادة والأستاذ حسين منصور الشيخ ، ومن البداهة أنني وحدي مسؤول عن نواقص وأخطاء هذا البحث .

والله ولـي التوفيق

وسام عباس السبع

البحرين

## تمهيد

### مكة والمدينة المجتمع والتاريخ

حفلت منطقة الحجاز بمجموعة من الواقع المهمة تاريخياً وثقافياً واجتماعياً، وعندما يرد اسمها غالباً ما يقرن بالتقدير والتعظيم، وقد تضاعفت أهميتها بعد ظهور الإسلام في مكة المكرمة، عندما سطعت أنواره من بطيئها، وصارت الكعبة المشرفة قبلة المسلمين، حيث اتجهت إليها الأنوار وأزداد العناية بأمرها.

ولما بلغ المسلمون قمة المجد والسيادة في منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، ازدهرت العلوم الإسلامية في أرجائها، وتبّأ رواة الحديث والمغارزي إلى وجوب التصنيف والتدوين في الحرمين، بحيث صار لكلّ منها رجال قصرّوا عليهما عنايتهم.

وبعدّاً من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، كان الخلفاء والحكّام المسلمين يبدون اهتماماً كبيراً ببلاد الحجاز، وذلك طمعاً في شرف رعاية المقدسات الإسلامية فيها، إذ كانت الهيمنة على الحرمين الشريفين تُعد إحدى أبرز مؤشرات السيادة على العالم الإسلامي، ومن يوليها الرعاية الواجبة فهو الأحق بالاتّباع، ولذلك كان الصراع متواصلاً عبر التاريخ على نيل شرف خدمتها والسيطرة عليها.

وممّا يدلّ على ما يتمتع به الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة

المنورة من اهتمام ، أنَّ جدلاً كثيراً حُدِثَ بين العلماء حول أفضلية مكَّة المكرَّمة على المدينة المنورة ، أو العكس ، شارك فيه كثير من علماء المذاهب الإسلامية ، حتَّى أنَّ الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) أَلَّفَ رسالة صغيرة في هذا الشأن سُمِّاها : **الحجج المبينة في التفضيل بين مكَّة والمدينة** قرَرَ فيها تفضيل المدينة المنورة على مكَّة المكرَّمة بقوله : «الذِي تميل إِلَيْهِ النَّفْسُ تفضيلَ الْمَدِينَةِ»<sup>(١)</sup> .

وقد شَنَأَوا السَّيِّدُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ الْمُدْبَرُ على خان المدني (ت ١٢٠هـ / ١٧٠٨م) مسألة الصلاة في مكَّة المكرَّمة والمدينة المنورة وأصرحة آل البيت ، وبيَّنَ أفضليتها على بعضها ورجح استحباباً مجاورة مكَّة المكرَّمة خلافاً لما ذكره غيره مستندًا في ذلك على ما رواه ابن بابويه ، فقال : «وَأَمَّا كون الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجد النبي ﷺ فidel صريحاً ما رواه رئيس المحدثين أيضًا في كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن مسعد بن صدفة عن الصادق ع

قال : (قال رسول الله ﷺ صلاة في مسجدي تعدل عند الله عشرة آلاف صلاة في غيره من المساجد إِلَّا المسجد الحرام ؛ فإنَّ الصلاة فيه تعدل ألف صلاة في مسجدي) ، وفي هذا المعنى أخبار آخر<sup>(٢)</sup> .

ثم إنَّ المستفاد به في ذلك ما جاء من أحاديث آل البيت للنبي ﷺ ، في كون

(١) **الحجج المبينة في التفضيل بين مكَّة والمدينة** : ٤٣ .

(٢) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين ع

مكة أفضل من سائر بقاع الأرض ، وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من  
الصلاحة في مسجد النبي ﷺ .<sup>(١)</sup>

### مكة المكرمة :

وقد اختلف في سبب تسميتها ؛ فقيل : سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة منزلة المكوك ، وقيل لازدحام الناس فيها حيث يقصدونها من جميع الأطراف من قولهم : امتك الفضيل أخلاق الناقة إذا جذب جميع ما فيها جذباً شديداً فلم يبق فيها شيئاً ، وهذا قول أهل اللغة . وقال آخرون : سميت مكة لأنها لا يفجر بها أحد إلا بكث عنقه ، فكان يصبح وقد التوت عنقه . وبكرة موضع البيت ، وما حول البيت مكة<sup>(٢)</sup> .

وبكرة هي مكة بيت الله الحرام ، أبدلت الميم باء ، وقيل بكرة بطن مكة ، وقيل : موضع البيت المسجد ومكة وما وراءه ، وقيل : البيت مكة وما ولاه بكرة ، وقال ابن الكلبي : «سميت مكة لأنها بين جبلين منزلة المكوك ، وقال أبو عبيدة : بكرة اسم لبطن مكة ، وذلك أنهم كانوا يتباكون فيه أي يزدحمون»<sup>(٣)</sup> .

وتعد مكة المكرمة أول بلد مقدس في الإسلام ، وفيها أول الحرمين

(١) رياض السالكين ٤٧٦/١ - ٤٧٧ .

(٢) معجم البلدان ١٨٢/٥ .

(٣) معجم البلدان ٤٧٥/١ .

وثاني القبلتين ، وهي مهبط الوحي والتنزيل ومحط أنظار المسلمين ، يتوجّهون شطرها ويحجّون إليها من كلّ حدب وصوب ، فلا عجب أن تهفوّا إليها قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فيرجون الله مخلصين أن يمنحهم التوفيق لزيارتها ، ويكتب لهم حجّ البيت فيها وزيارة قبر نبيه ﷺ قبل أن يتوّفّهم الله ويفارقون هذه الحياة الدنيا .

ولم تكن رحلة الحجّ في الفترة التي ندرسها سهلة يسيرة على المسلمين بالشكل التي هي عليه اليوم ، فقد كانت حرارة الشمس الحارقة تصهر الأجسام الأدمة في وهاد الحجاز القاحلة ، وكان على الحجاج أن يتلاءموا مع برودة ليل الصحراء ، وكان عليهم أن يقاوموا آلام الجوع وكثرة العطش وهم يلهجون بصوت جهير دون توقف : (لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ) .

كان موكب الحجيج يشقّ طريقه الصحراوي بمهابة ، وكانت القوافل تسير بجمالها الملفوفة بالسجاد ، وكانت النساء على الجمال يهملن على طول الطريق ، وكذا كان يفعل الرجال الذين كانوا يقودون الجمال<sup>(١)</sup> .

وكان الخوف يسيطر على الحجاج وهم يتربّدون الهجمات التي يشنّها الأعراب ، وكثيراً ما لا تقتصر هذه الهجمات على السرقة والنهب ، إذ يسقط فيها ضحايا كثراً ، ومن كان ينجو من القتل تترّبص به الصحراء بقوتها ، فيموت وهو يحاول الفرار عطشاً ، والمحظوظ من تكتب له النجا في هذه التجربة المهلكة .

(١) مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى : ٩٦ .

ويعطينا الرحالة الألماني يوهان وايلد Johann Wild - على سبيل المثال - معلومات حول رحلته للحجّ في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) كبعد رقيق مع سيده الفارسي إلى مكة ضمن القافلة المصرية ، وقد عسّكر القائد (أمير الحجّ) في حديقة تبعد ميلين عن القاهرة قبل أسبوع ، وتقاطر الحجاج إلى هناك بالتدريج ، أطلقت الأبواق إيزاناً بيضاء الرحلة ، كان الحجاج يسرون في نظام لكي تسهل مراقبتهم في أثناء الرحلة ، كانت تحمل الجمال في أرتالٍ الواحد تلو الآخر ، ومئة من الجنود المماليك المرافقين ومعهم ستة مدافع . كان ثلاثون جمالاً تحمل سلاحاً فارغة لوضع الذين يمرضون من الحجاج فيها . وكان كلّ رجل يحمل جوداً مملوءاً بالماء يكفي ثلاثة أيام ، لم يكن هناك إمكانية لإعادة مائه قبل الوصول إلى السويس ، وما كان شيء أثمن من الماء آنذاك . كان من المناظر المألوفة أن ترى الحجاج الفقراء يطوفون بالمعسّكر يتسلّلون ، وحينما يقدّم لهم الطعام كانوا يرفضون قائلين : «لا نريد أن نأكل لكن إكراماً لله شربة ماء» .

بعد عبور السويس جابوا شبه جزيرة سيناء ، وكانوا يقضون يوماً كاملاً في شقّ طريقهم عبر الممرّ المرعب لسلسلة العقبة ، وهي سلسلة جبال عالية وصخور شاهقة ، كانت الجمال تقاد من خطامها بينما سار الحجاج على الأقدام ، مكثوا يومين في مدينة العقبة في الوادي حيث آبار مياه الأمطار الحلوة يحرسها الجنود المماليك خوفاً من البدو .

كان عدد رجال القافلة (٢٠٠٠٠) وعدد الجمال (١٠٠٠٠) . وصلوا إلى

ينبع - وتقع في متصف الطريق إلى مكة - في زهاء ١٩ أو ٢٠ يوماً، وكان عدد الوفيات (١٥٠٠) رجل و(٩٠٠) جمل . بعد ينبع تعرضوا لمضايقات من البدو وهم يعبرون الجبال<sup>(١)</sup>.

### المدينة المنورة :

أما (المدينة المنورة)، فسميت أيضاً يثرب ، قال أبو القاسم الزجاجي : «يُثْرِبُ مَدِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ سُكِّنَهَا عِنْدَ التَّفْرِقِ يُثْرِبُ بْنَ قَانِيَةَ بْنَ مَهْلَائِيلَ ابْنَ إِرْمَ بْنَ عَبِيلَ بْنَ عَوْضَ بْنَ إِرْمَ بْنَ سَالِمَ ابْنَ نُوحَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَلَمَّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، سُمِّا هَا طَيْبَةً وَطَابَةً كُراْهِيَّةً لِلتَّشْرِيبِ ، وَسُمِّيَتْ مَدِينَةُ الرَّسُولِ لِنَزُولِهِ بِهَا .

وقال النبي ﷺ ، لما هاجر : «اللهم إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ أَرْضِكَ إِلَيَّ فَأَسْكِنِي أَحَبِّ أَرْضِكَ إِلَيْكَ ، فَأَسْكِنْهُ الْمَدِينَةَ»<sup>(٢)</sup> .

والمدينة تسعه وعشرون اسمأ ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان<sup>(٣)</sup> ، وتكتب المدينة قداسة خاصة عند المسلمين لشرفه ما ضمته

(١) المصدر السابق : ٩٥ - ٩٦ ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١٩٤٢ .

(٢) معجم البلدان ٤٣٠/٥ .

(٣) وهي : المدينة ، وطيبة ، وطابة ، والمسكينة ، والعذراء ، والجابرية ، والمحبة ، والمجنة ، والمحبورة ، ويثرب ، والناجية ، والموفية ، وأكاله البلدان ، والمبارة ، والمحفوفة ، والمسلمة ، والمجنة ، والقدسية ، والعاصمة ، والمرزوقه ، والشافية ، والخيرية ، والمحبوبة ، والمرحومة ، وجابرية ، والمحترمة ، والمحرمة ، والقاصمة ، وطبابا . انظر : معجم البلدان ٨٣٥/٥ .

في ترابها . وقد روي عن النبي ﷺ قوله : «رب أدخلني مدخل صدق وأخرجنـي مخرج صدق ، قالوا : المدينة ومكـة»<sup>(١)</sup> . وقال ﷺ : «من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليفعل فإنه من مات بها كـنت له شهيداً (أو شفيعاً) يوم القيـمة»<sup>(٢)</sup> .

### التركيبة الاجتماعية في مكـة والمدينة :

انقسم مجتمع (مكة المشرفة) و(المدينة المنورة) في القرن الحادـي عشر الهجري إلى مجموعة متنوعة من الطبقـات :

- أولى هذه الطبقـات في مجتمع مكـة المكرـمة والمدينة المنورة هي (طبقة الأشراف) ، والأشراف يتسبـون إلى سـيدنا عليـ بن أبي طـالب ؓ ، ومنهم آلـ الحسن بمـكة المكرـمة وآلـ الحسين بالمـدينة المنـورة<sup>(٣)</sup> ، وقد بدأ ظـهور طـبقة الأشراف سنة ٩٦٩ـهـ (٣٥٨ـمـ) ، حينـما استـقلـ أـبنـاءـ الحـسـنـ والـحسـينـ بمـكةـ والمـديـنةـ وتـولـواـ أمـورـ الـحجـازـ<sup>(٤)</sup> ، وأـصـبـحـ هـذـاـ اللـقـبـ يـطـلـقـ عـلـىـ أـمـرـاءـ الـحرـمـيـنـ الشـرـيفـيـنـ وـأـفـرـادـ عـائـلـاتـهـمـ ، فـلـمـ يـكـنـ هـذـاـ اللـقـبـ مـعـرـوفـاـ فيـ بـلـادـ الـحـجـازـ مـنـ قـبـلـ<sup>(٥)</sup> ، وـتـمـتـعـ الأـشـرـافـ دـاخـلـ الـمـجـتمـعـ إـسـلامـيـ بـمـكـانـةـ

(١) معجم البلدان . ٨٣/٥

(٢) معجم البلدان . ٨٣/٥

(٣) شفاء الغرام ١٩٤٢

(٤) إنـتعـاظـ الحـنـفـاـ بـأـخـبـارـ الـأـئـمـةـ الـفـاطـمـيـنـ الـخـلـفـاءـ : ١٠١

(٥) العلاقات بين مصر والـحجـازـ زـمـنـ الـفـاطـمـيـنـ وـالـأـيـوبـيـيـنـ : ٢٢٦ - ٢٢٧

عظيمة ، حيث تمتّعوا بالاحترام والتقدير من قبل الجميع ، وقد سكن بعضهم المدينة المنورة وما حولها ، وبعضهم سكن منعزلاً عن بقية السكّان<sup>(١)</sup> ، وكان اختيار أمير المدينة من بينهم لرفعه مكانتهم .

- ومن الطبقات التي كانت ذات شأن عظيم داخل مجتمع مكّة المكرّمة والمدينة المنورة هي (طبقة أصحاب الوظائف الدينية) وتمثل في القضاة والخطباء والقراء والمؤذنون والأئمّة وغيرهم<sup>(٢)</sup> .

- وأجل تلك المناصب كان (منصب القضاة) ، فهي الوظيفة الثانية بعد ولادة إمارة المدينة) ، فلابد أن يكون القاضي في المدينة من كبار العلماء والفقهاء لعظمته وظيفته<sup>(٣)</sup> ، حيث كانوا يختارون من رجال العلم وأهل الدين ، ويقومون على تنفيذ الأحكام الدينية على كلّ الناس ، وقد وجد في المدينة قضاة لجميع المذاهب ، فكان لكل طائفة إمامها وقاضيها<sup>(٤)</sup> ، كما تمتّع القضاة بنفوذ كبير داخل الدولة وباحترام أمراء بلاد الحجاز ، وكذلك سلاطين المماليك بمصر ، وعاش هؤلاء القضاة في سعة من العيش نتيجة لما أగدقته الدولة عليهم<sup>(٥)</sup> .

- وأما خطباء المدينة فهم يأتون بعد القضاة في مكانتهم ، وكما كان

(١) الدرر السننية في الأنساب الحسينية والحسينية : ٥٩.

(٢) المجتمع الحجازي في العصر المملوكي : ١٩.

(٣) العلاقات بين مصر والحجاج : ٢٢٩.

(٤) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الناظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . ٩٩٩.

(٥) المجتمع الحجازي في العصر المملوكي : ٢٠.

لكل طائفة قاض ، كان لها إمام يؤمّها في صلاتها ، فلكل إمام مكان محدد في المسجد يصلّي فيه مع أتباعه<sup>(١)</sup> .

- ومن أبرز الطبقات في مجتمع مكّة والمدينة : (طبقة المجاورين) ، وهم يشكّلون جزءاً كبيراً في البناء الاجتماعي لمجتمع المدينة المنورّة ، حيث استقرّوا واندمجو مع السكّان الأصليّن ، وهم من أكبر طبقات المدينة عدداً ، وتسميتهم تأتي من الجوار والمجاورة ، وتعني المجاورة البقاء في مكّة والمدينة لفترة غير معلومة تنتهي بخروج المجاور من إحدى هاتين المديتين أو الوفاة بهما<sup>(٢)</sup> .

وتتكوّن هذه الطبقة من كثيرين قدموا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للمجاورة بجوار المسجد النبوي ، وتعدّدت بلدانهم ، خاصة مصر والشام والعراق والمغرب واليمن وفارس وبلاد ما وراء النهر وغيرها ، وكان منهم العلماء والتجار وطلبة العلم وأرباب الوظائف الدينية كالأئمة والقضاة وجماعات أخرى وفدت على المدينة . ولفضل المجاورة بها ، ما لبّثوا أن استقرّوا واندمجو مع سكّانها وشاركونهم في الحركة العلمية والاقتصادية<sup>(٣)</sup> . ولم تكن مدة مجاورتهم محدّدة ، فقد تطول أو تقصر ، تبعاً لرغبة المجاور وأحوال مكّة والمدينة خلال فترة وجوده ، فقد يمكث بعضهم بضع

(١) الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين : ٢٠٦ .

(٢) لسان العرب ٥٣٠/١ - ٥٣١ .

(٣) العلاقات بين مصر والجاز : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

سنوات ، وأخرون يفضلون الإقامة حتى يدركهم الموت ، ومارس العديد منهم بعض الأعمال إضافة إلى تولية الوظائف الدينية ، ومنها إماماة الحرم النبوى والأذان والقضاء والتدريس والفتوى ، ومنهم طلاب للعلم<sup>(١)</sup> ، وقد نالوا الرعاية من جانب الحكماء المسلمين .

- أيضاً ، شكلت (طبقة الأغوات)<sup>(٢)</sup> طبقة ذات خصائص اجتماعية خاصة ؛ والأغوات هم من يقومون على خدمة المسجد النبوى الشريف ، بعضهم من أصل حبشي أو صقلبي ، وكان صلاح الدين الأيوبي هو الذي ثبت قاعدة الخدام في الحرم النبوى ، وأوقف عليهم الأوقاف والجامكية<sup>(٣)</sup> ، لهم كتاب بذلك وفهم فيه على الحرم النبوى الشريف سنة ٥٦٨هـ (١١٧٢م) ، كان موجوداً لديهم إلى أيام السخاوي<sup>(٤)</sup> .

كانت طبقتهم كما ذكرها السخاوي في كتابه التحفة اللطيفة تقوم بحفظ المسجد نهاراً ، و مباشرة قفل أبوابه ، والمبيت فيه لحراسته ، مما هو الأصلي في ابتكارهم ، وتنزيل القناديل وتعليقها للتعimir والوقود وغسلها أو مسحها وإسراج ما يوقد منها سحراً ، والدوران بعد صلاة العشاء بالقناديل لتفقد من

(١) الحياة العلمية الاجتماعية في مكة : ١٤٤ .

(٢) الأغوات جمع آغا والمقصود بها خدام سيد السادات عليهما السلام . ينظر : تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب : ٥٣ .

(٣) الجامكية : لفظ فارسي مشتق من جامة بمعنى اللباس ؛ أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة والجمع (جامكيات ، جوامك ، جماكي) ينظر : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي : ٥١ .

(٤) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٦١/١ - ٦٣ .

يخشى مبيته ، ويرجعون عليه بالمنع ولا يبيت فيه إلا الفراش لإطفاء القناديل وفتح الأبواب للمؤذنين وكنس المسجد والروضة والحجرة كل جمعة مع مسح الجدر كل سنة وفرش بساط أمير المدينة<sup>(١)</sup> .

- كما كانت لـ (طبقة التجار) مكانة كبيرة في المجتمع المكي والمدني ، وت تكون هذه الطبقة من التجار الذين يعملون في التجارة بين الشرق والغرب<sup>(٢)</sup> ، حيث يأتون إلى الأماكن المقدسة بالأطعمة والمؤن المختلفة التي تحتاجها ويشترون من أهلها بضائعهم ، وخاصة التمر الذي تشتهر به المدينة وتصدره إلى الخارج<sup>(٣)</sup> ، وقد قام التجار بدور كبير في تجارة بلاد الحجاز لاعتماد هذه البلاد بالدرجة الأولى على التجارة<sup>(٤)</sup> ، لذا كانوا طبقة ثرية داخل المجتمع لما يعود عليهم من ثراء بسبب اشتغالهم بالتجارة<sup>(٥)</sup> .

- وإلى جانب هذه الطبقات ، كانت هناك (طبقة العامة) ، وهي التي تمثل الغالبية العظمى داخل مجتمع المدينة ، فمنها الفلاحون الذين يمثلون فئة فقيرة داخل المجتمع ، نظراً لطبيعة أراضيها قليلة الأمطار<sup>(٦)</sup> . فضلاً عن أنّ الحرفة الأساسية عند أهل مكة والمدينة هي الرعي ، نظراً للبيئة التي كانوا

(١) المصدر نفسه ٦١/١ - ٦٣

(٢) العلاقات بين مصر والحجاج زمن الفاطميين والأيوبيين : ٢٣٨ .

(٣) الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر : ٢٥٩ .

(٤) الرحلات المغربية والأندلسية : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٥) المدينة المنورة في العصر الأيوببي : ١٢٢ .

(٦) العلاقات بين مصر والحجاج ، زمن الفاطميين والأيوبيين : ٢٣٨ .

يعيشون فيها ، ولأنّها الحرفة المفضّلة عند العربي التي تتفق مع طبيعة الأرض<sup>(١)</sup> .

- كذلك ، كان هناك (الأعراب) الذين يعيشون خارج الأماكن المقدّسة في مكّة والمدينة في المناطق المحيطة بها ، وعلى طول الطرق المؤدية إليها ، فهم فئة من الناس احترف بعضهم السرقة والنهب والاعتداء على الحجاج وسلب أموالهم ، كما ظهر خطورهم أيضاً على أهل بلاد الحجاز<sup>(٢)</sup> .

ولم يكن إرضاء هؤلاء الأعراب والقبائل بالأمر اليسير ، فكثيراً ما تعرّضوا لقوافل الحجاج بأعمال القتل والسلب والنهب ، بل كانوا يغيرون على المدينة المنورة للسلب والنهب أيضاً<sup>(٣)</sup> .

- وإلى جانب هؤلاء ، شكل (العبيد) إحدى طبقات مجتمع مكّة والمدينة ، وكان منها أتباع الأمير وأعوانه وخواصّه الذين يسهرون على راحته وخدمته ، بالإضافة إلى تنفيذ أوامره ، حيث كان لكلّ أمير مجموعة من العبيد من أجناس مختلفة ، فمنهم الفرس والروم والبربر والأحباش والنوبة والرنج ، وكلّ مجموعة من هؤلاء كانت لهم عاداتهم من الأطعمة والأشربة والملابس<sup>(٤)</sup> .

(١) العلاقات بين مصر والحجاج ، زمن الفاطميين والأيوبيين : ٢٣٨ .

(٢) الرحلات المغربية والأندلسية : ٢٠٢ .

(٣) شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية : ٢٢ - ٢٣ .

(٤) مظاهر الحياة الاجتماعية في مكّة والمدينة إبان القرن الثامن الهجري من خلال كتب

الرحالة : ١٢٣ .

- وكذلك كانت هناك مجموعة تعمل في الحقول والبساتين للخدمة فيها وحراستها ورعاية المواشي . ولو لا هؤلاء ما قامت زراعة بالمدينة ، وكانوا يتلقاً من مقابل ذلك بعض من الغلة ، ومنهم يقوم بالخدمة في البيوت وهم يسمون بالنخولة<sup>(١)</sup> ، كما كانت الإمام والجواري منهم من يجلبن من أسواق النخاسة ، منها الحبشيّات والرومّيات والشركسيّات والعربيّات من مولدات المدينة والطائف واليامامة ومصر<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المدينة المنورة في العصر الأيوبى . ١٢٣/٢ .

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : ٤٣٢ .

## أولاً : كتاب (الروضة النضرة) وسيرة مؤلفه

### ١) أهمية كتاب (الروضة النضرة) :

من الخصائص المميزة في التراث العربي الإسلامي عنایته الشديدة بكتب السير، وقد ولع المؤرخون العرب بهذا الفن وسبقو الأمم المعاصرة في هذا المضمير، فتنوعت تأليفاتهم وتعددت، فمنها ما ربّت السير فيه على طبقات، فهناك كتب لطبقات الشعراء، والنحاة، والأدباء، والأطباء؛ ومنها ما تعدد إلى تراجم الأعيان عامة دون الاقتصار على طبقة خاصة؛ ومنها ما ربّت السير فيه على المشاهير في هذا القرن أو ذاك، فهناك كتاب في أعيان القرن الثامن<sup>(١)</sup>، وذلك في أعيان القرن التاسع<sup>(٢)</sup>، وهناك كتب في القرن العاشر<sup>(٣)</sup>، وأخر في أعيان القرن الحادي عشر<sup>(٤)</sup> والثاني عشر<sup>(٥)</sup> والثالث عشر<sup>(٦)</sup>.

وتأتي أهمية كتاب الروضة النضرة في المائة الحادي عشرة من حيث كون مؤلفه عالماً من طبقة العلماء المتخصصين في المخطوطات، فقد أفنى

(١) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة .

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .

(٣) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة .

(٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر .

(٥) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر .

(٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر .

آقا بزرگ الطهراني جُلَّ حياته في جمع وملحقة التراث الإمامي المخطوط .  
 (١) وهو صاحب الكتاب الذايع الصيت : **الذریعة إلى تصانیف الشیعه** وفكرة تأليفه كانت في مدينة الكاظمية أيضاً في قصة معروفة حدثت له مع السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) إذ اتفقوا في تلك البلدة وأقسموا على وضع ما يخدم الطائفة ردًا على جرجي زيدان الذي أنكر في أحد كتبه عدم وجود تصانیف للشیعه ، والثلاثة كتبوا ووفّقوا في ذلك .<sup>(٢)</sup>

(١) وصفه عبد الجبار عبد الرحمن في كتابه دليل المراجع العربية والمعربة بقوله : «جمع فيه الكتب المؤلفة على مَرَّ العصور ، ورتّبها حسب العناوين ، وإذا تشابهت يُراعي فيها أسماء مؤلفيها . وهو عمل بليونغرافي رائع لم يظهر مثله أو ما يوازيه في البلاد العربية في العصر الحديث ، يضع أولاً اسم الكتاب بين قوسين ، ثم يذكر اسم المؤلف الكامل وسني ولادته ووفاته (إن وجدت) ، ومكان وجود الكتاب وذكر بدايته» . ينظر : الفضلي ، عبد الهادي : أصول تحقيق التراث : ٧٦ .

(٢) وكان الباعث على تأليف الذريعة هو ما ذكره (جرجي زيدان) في كتابه (تاريخ أداب اللغة العربية) حينما تحدث عن الشیعه فقال ما خلاصته : (الشیعه طائفة صغیرة لم تترك أثراً يذكر ، وليس لها وجود في الوقت الحاضر) فدفع هذا القول الشیخ آقا بزرگ ورفيقه في العلم السيد حسن الصدر والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء أن يتعاهدوا ويأخذ كل واحد منهم على عاتقه بيان جانب من جوانب الثقافة الشیعية الفیّة والتعریف بها . وقد تقرر أن بیحث العلامة السيد حسن الصدر في الآثار العلمیّة الشیعیّة ، وبيان فضل الشیعه ، وإسهامهم في تأسیس علوم الإسلام ، وظهرت ثمرة بحثه في كتابه (تأسیس الشیعه لعلوم الإسلام) الذي طبع بمساعدة الشيخ نفسه عام ١٣٧٠هـ ، أما العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فقد تقرر أن يكتب نقداً لكتاب جرجي زيدان (تاريخ أداب اللغة العربية) ويکشف عن كل أخطائه فيه ، وقد

وقد طبع الكتاب ضمن موسوعة طبقات أعلام الشيعة وكان نصيب القرن الحادي عشر هو الجزء الثامن من هذه الموسوعة ، وقد سماه : **الروضة النضرة في علماء المئة الحادية عشرة** كما كتبه بخطه على ظهر النسخة الأصلية من الكتاب<sup>(١)</sup> .

وهذه الأجزاء التي ضمّتها طبقات الأعلام لا تشتمل إلّا على فهرس صغير لأسماء بعض من عشر عليهم المؤلّف عندما كان مشغولاً بتأليفه موسوعته : **الذرية إلى تصانيف الشيعة** ، ولقرب عهد القرن الحادي عشر فقد كان اطلاع المؤلّف عن رجاله في إيران خاصة أكثر من سوابقه فزاد حجم هذا المجلد بالنسبة إلى ما قبله . وأمّا علماء الشيعة في الهند وما والاها فليس فيه ذكر عنهم مع الأسف .

وقد رتب هذا الجزء كسوابقه على حروف المعجم في أسماء المترجمين ثم أشهر ألقابهم ، وقد حلّت مشكلة المعروفين بالكتني بغضّ النظر عن كلمات (الأب) و(الابن) و(الأم) ، فأورد ابن حسام في الحاء وأبو البركات وأبو القاسم في الباء والكاف .

وأمّا الأسماء المركبة التي زاد انتشارها في القرن الحادي عشر عمّا قبله

↳ نفذ هذه المهمة ، وكتب نقداً علمياً جاماً للكتاب بمجلداته الأربع وطبع ضمن كتابه المراجعات الريحانية ، وأمّا الشيخ آقا بزرك فقد تعهد أن يكتب فهرساً يجمع فيه أسماء كلّ مؤلفات الشيعة ، انظر : عبد الرحيم محمد على : **شيخ الباحثين آقا بزرك الطهراني** حياته وأثاره ، (مطبعة النعمان ، ط ١ ، النجف الأشرف ١٣٩٠هـ) : ٢٩ - ٣٠ .

(١) الروضة النضرة : ١ .

فما كان منها مركباً من (محمد) مع أحد ألقاب الأئمة عليهما السلام فقد افترض المؤلف عليه السلام ذلك اللقب علماً للمترجم له وجعل (محمد) لقباً مقدساً لكل مسلم فأورد (محمد صادق) في الصاد و(محمد كاظم) في الكاف مثلاً، ولعل ذلك لكثرة مثل هذا التركيب.

لقد استندت معظم الأحكام والتوصيفات التي كان يطلقها الطهراني في كتابه حول أحوال الشخصيات التي تناولها مما يستنبطه من آثارهم الشخصية المخطوطة ، ثمّ من التواريχ العامة المخطوطة القليلة الوجود ، مثل : أمل الآمل ورياض العلماء ، وذلك قبل طبعهما ، وقليلًا ما كان ينقل عن المطبوعات .

## (٢) طريقة معالجته للموضوع :

يتبع الطهراني طريقة معينة في معالجته سير من يترجم لهم ، فهو يذكر اسم العالم ونسبة وأحياناً عمل الوالد ، وفي بعض الحالات تاريخ ومكان الولادة ، وأسماء الأقارب المرموقين من أهل العلم والرياسة ، ثمّ يتطرق إلى من حضر العالم لدروسهم ومن أجازه منهم ، وما هي الكتب التي درسها والوظائف التي تولاها ، ثمّ يذكر أهم إنتاج العالم الأدبي والكتب التي كتبها والدواوين ، وأحياناً يذكر أبرز آرائه ، وشيئاً عن علاقته بالسلطة ، ثمّ يتطرق إلى ذكر آرائه وبعض المعلومات العامة من أحواله الشخصية ووضعه المالي وأسفاره والعلوم التي برع بها ، وأقوال العلماء فيه ، ثمّ أبنائه وتلامذته الذين

اشتهروا من بعده ومن ترجم له منهم ، ثم ينتهي إلى تحديد مكان وتاريخ الوفاة وسبيها ، خصوصاً في حالات القتل والاغتيال .

لقد أخذت كل هذه المواضيع بعين الاعتبار ودونت معلوماتها ثم اخترت منهم من جاور أو ولد وعاش أو توفي في أرض الحرمين لإعطاء معلومات عن عدة مواضيع مرتبطة بصلب فكرة البحث .

### (٣) حياة المؤلف :

مؤلف كتاب الروضة النصرة هو الشيخ محمد محسن الشريف المدعو بأقا بزرك ابن الحاج علي بن محمد رضا ابن الحاج محمد محسن الطهراني<sup>(١)</sup> .

- ولد في ١١ ربيع الأول ١٢٩٣هـ (٦ أبريل ١٨٧٦م) في مدينة طهران وسط عائلة معروفة بالتدين والتقوى .

- كان أبوه من التجار الأفضل المعروفين بالالتزام والتدين ، ألف كتاباً أرخ فيه الحوادث التي رافقت حركة تحريم التنبك ، أمّا جده ، فهو الحاج محسن من التجار البارزين الذين لهم الفضل في تأسيس أول مطبعة في إيران .

- بدأ في طهران بدراسة العلوم الدينية وعمره عشر سنوات ، وظل مشغولاً بالدراسة في طهران مدة اثنتي عشرة سنة قضاها عند الأساتذة

---

(١) على هامش الذريعة : ٥٩٨ .

المعروفين ، من أمثال: الشيخ محمد حسين الخراساني ، والميرزا محمود القمي ، والشيخ علي نوري الإيلكاني ، والسيد عبد الكريم اللاهيجي ، وغيرهم .

- هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) لإكمال دراسته الحوزوية عند مراجعها العظام آنذاك ، وعاش في النجف الأشرف حوالي أربع عشرة سنة .

- سافر إلى سامراء المقدسة والتحق بحوزتها العلمية للاستفادة من دروس علمائها الأعلام ، وبقي هناك مدة أربع وعشرين سنة .

- في عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) عاد إلى مدينة النجف الأشرف وبقي فيها مشغولاً في البحث والتصنيف إلى آخر لحظة من عمره الشريف .

- خلال المدة التي قضاها بين حوزتي النجف الأشرف وسامراء المقدسة ، درس على يد كثير من الأساتذة المشهورين ، نذكر بعضًا منهم: الميرزا حسين النوري ، السيد مرتضى الكشميري ، الشيخ محمد طه نجف ، الميرزا حسين خليل ، الأخوند الخراساني ، السيد محمد كاظم اليزدي ، الميرزا محمد تقى الشيرازي ، الملا فتح الله الإصفهاني ، الشيخ علي كاشف الغطاء (ت ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م) ، وغيرهم .

- حاز الطهراني على إجازة بالرواية ونقل الحديث من كبار علماء الشيعة آنذاك ، منهم: السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي ، والشيخ علي الخاقاني ، والشيخ محمد صالح آل طعان البحرياني ، والشيخ موسى

الكرمانشاهي ، والسيد أبي تراب الخونساري ، والسيد حسن الصدر صاحب كتاب **تأسيس الشيعة** ، وغيرهم .

وله إجازة بالرواية من مشاهير علماء العامة كذلك ، منهم : الشيخ محمد علي الأزهري المعروف بـ (الشيخ علي) ، وهو من علماء المذهب المالكي ، والشيخ عبد الوهاب الشافعي ، والشيخ إبراهيم الحمدي من علماء المدينة المنورة ، والشيخ عبد القادر الطراطلسي من مدرّسي الحرم النبوى الشريف ، والشيخ عبد الرحمن الحنفى من مدرّسي الجامع الأزهر .

وقد حصل منه كثير من علماء الشيعة البارزين على إجازة في رواية الحديث ، نذكر بعضًا منهم ، وهم : آية الله السيد حسين البروجردي ، والسيد عبد الحسين شرف الدين ، والعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب كتاب **الغدير** ، والشيخ عبد الهادي الفضلي ، والسيد محمد حسين الجلاли وغيرهم .

- وللشيخ الطهراني خمسة أبناء وأربع بنات ، فالذكور هم :

١ - الدكتور محمد رضا ، وقد قتل في سنة ١٣٥٤هـ أو ١٣٥٥هـ (الشمسية) أيام الحكومة العسكرية التي شكلت في طهران قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران .

٢ - محمد باقر المنزوبي : توفي عام ١٣٤٣هـ ، وقد حزن عليه الشيخ آقا بزرك وتأثر تأثراً شديداً ، ورثاه في قصيدة شعرية .

٣ - الدكتور علي نقى المنزوبي وأحمد المنزوبي : تم بإشرافهما طباعة

ونشر كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة .

#### ٤ - الأستاذ محمد تقى المتنزوى .

- انتقل آقا بزرك إلى رحمة الله بتاريخ ١٣٨٩ ذي الحجة (٢٠ فبراير ١٩٧٠م) بعد أن قضى ستّاً وتسعين سنة من عمره الشريف بالسعى الحثيث لخدمة الإسلام العزيز، وقام بتغسيله آية الله المدنى ، وشيع تشيعاً مهيباً ، وصلّى على جسده الطاهر آية الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي عليه السلام ، ولشدة تعلقه بالكتب عليه السلام أوصى بدفنه في مكتبة التي أوقفها لخدمة المسلمين ، وذلك في النجف الأشرف ، وقد أرّخ الشاعر السيد موسى الكاظمي الهندي وفاته بهذا البيت من الشعر :

كان اسمه تاريخه (آقا بزرك محسن) (١٣٨٩هـ)

#### ٤) آثاره العلمية :

كان الشيخ الطهراني يمتلك مكتبة كبيرة تحتوي على مجموعة كبيرة من الكتب والمنخطوطات القيمة ، وقد أوقفها عليه السلام لخدمة عامة المسلمين ، وقد قام بتأليف أكثر من مئة مؤلف في مختلف المجالات العلمية ، نأتي على ذكر أبرزها :

١ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة : قام بتأليفه ردّاً على ما أثاره الكاتب جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية من شبّهات حول الشيعة

ومذهب التشيع ، ومن أبرز تلك الشبهات أن ليس للشيعة دور في بناء الفكر والثقافة الإسلامية ، وقد ذكر الشيخ في هذا الكتاب أربعة وخمسين ألفاً وتسعمئة وخمسة وثلاثين (٥٤٩٣٥) مؤلفاً لعلماء الشيعة في مختلف العلوم الإسلامية ، وقد تجسّم في سبيل إنجاز هذه الموسوعة **الذرية** إلى تصانيف الشيعة كثيراً من صعاب السفر والتنقل بين العراق وإيران وسوريا وفلسطين ومصر وبلاط الحجاز ، لغرض تتبع الفهارس التي أوردت أسماء تلك الكتب ، وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات في مدينة النجف الأشرف وطهران في خمسة وعشرين مجلداً .

**٢ - طبقات أعلام الشيعة** : تناول بِهِ اللَّهُ في هذا الكتاب ذكر وتعداد علماء الشيعة من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ألهـ بعد الانتهاء من كتاب **الذرية** .

**٣ - حياة الشيخ الطوسي** : طبع على شكل مقدمة لكتاب تفسير البيان ، وقد ترجم إلى اللغة الفارسية .

**٤ - هدية الرazi إلى المجدد الشيرازي** : وكتب هذا الكتاب في سـحـرـ حـيـاـةـ المـجـدـدـ المـيـرـزاـ حـسـنـ الشـيرـازـيـ الكـبـيرـ (مـطـبـوـعـ وـمـتـرـجـمـ إـلـىـ اللـغـةـ الـفـارـسـيـةـ) .

**٥ - مصنف المقال في مصنفي علم الرجال** : ألهـ في شـرـحـ أحـوالـ ستـ مـئـةـ عـالـمـ وـكـاتـبـ ، وـرـدـتـ أـسـمـا�ـهـمـ فـيـ كـتـبـ الرـجـالـ (طـبـعـ فـيـ إـيـرانـ عـامـ ١٣٨٣ـهـ) .

- ٦ - المشيخة : خلاصة لكتاب مصفي المقال .
- ٧ - النقد اللطيف في نفي التحرير عن القرآن الشري夫 :  
(مخطوط) .
- ٨ - توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتہاد : حول تاريخ المذهب الشيعي ، بالإضافة إلى بحوث حول الإجتہاد في مذهب الشيعة ، ونفي الإدعاءات القائلة بحصر الإجتہاد في المذاهب الأربع فقط .
- ٩ - تفنيد قول العوام بقدم الكلام : كتاب عقائدي يبحث في نفي قدم کلام الله ، ألهه بناءً على طلب أحد علماء الموصل في عام ١٣٥٩هـ  
(مخطوط) .
- ١٠ - ضياء المفازات في طرق مشايخ الإجازات : كتبه بشكل يشبه هيئة شجرة (مخطوط) .
- ١١ - إجازات الروایة والوراثة في القرون الأخيرة الثلاثة :  
(مخطوط) .
- ١٢ - مستدرک کشف الظنون : (مطبوع في طهران سنة ١٣٨٧هـ) .
- ١٣ - تعريف الأنام في ترجمة المدنية والإسلام : حول عدم التعارض بين الدين والمدنية الحاضرة ، والكتاب مترجم إلى اللغة الفارسية  
عنوان : المدنية والإسلام .
- ١٤ - تقريرات دروس الأخوند الخراساني وشيخ الشريعة الإصفهاني في الفقه والأصول ، بالإضافة إلى عشرات المؤلفات الأخرى .

**١٥ - كشكول الطهراني :** طبع مرّتين ، في إيران عن مجلس الشورى ، وطبعة أخرى صدرت بإعداد محمد علي الحسيني الجلايلي . وعلى الرغم من كثرة انشغالاته بالتأليف والتصنيف ، كان الشيخ آقا بزرك الطهراني عليه السلام يتمتع بقريحة شعرية جيدة ، وقد كتب منظومة شعرية عقائدية نذكر منها هذين البيتين :

الحمد للرب لا من سواه	لا يستحق المدح إلا الله
يا ربنا صل على المختار	محمد وأله الأطهار

وقد تحمل الشيخ الطهراني الكثير من أجل تأليف كتاب الذريعة ، وأقل ذلك كلام بعضهم على تأليفه هذا ، فقد قال الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) في كتابه معارف الرجال : «... وقد زرته حينما ورد النجف ، ولا أنسى أنها كانت يوم الثلاثاء ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٥٤هـ (٢٦ سبتمبر ١٩٣٥م) في دار الشاعر الأديب السيد باقر الهندي في محلّة الحويش ، وهو إذ ذاك رجل خبير ، عارف متتبع بحاثة ، متضلع في الأدب ، قوي العضلات ، لا يكلُّ من الكتابة ولا يملَّ ، منقباً عن آثار العلماء والمؤلفين من علماء الشيعة الإمامية ومؤلفيهم بعنوان موجز مرتب على حروف الهجاء ، وأراني شيئاً من مؤلفاته المخطوطة ، وحدّثني البعض من أصحابه بقوله : (لو أنَّ الشيخ المترجم له بذل جهده هذا في علمي الفقه والأصول لكان فقيهاً حقاً وعالماً محققاً) ، وأنا لا أقول بهذه المقالة بل أقدر له جهوده واحترم مقامه في

هذا السبيل السامي»<sup>(١)</sup>.

وأماماً عن همته في التأليف ، فقد كان ذا عزم وصبر وإصرار غريب ، وينقل المحقق أحمد مجید الحلي عن العلامة المحقق السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان قوله : «أنه كلما وجدتم في كتاب الذريعة ذكرأ لأية نسخة من مكتبة آل الخرسان فقصّته أنه كان الشيخ الطهراني رحمه الله يأتي من سامراء إلى النجف وينزل عندنا ويصعد لمكتبتنا ويسجل منها لكتابه الذريعة ، وكانت مهمتي أن أملأ له (الكازة)<sup>(٢)</sup> نفطاً وقت المغرب لعدم وجود الكهرباء حينها وأصعد بها له ، وكان من عادته أن لا يتعشّى ، وتنفذ الكaza من النفط في متتصف الليل مرّة أخرى فأملأها ثانية فتنفذ إلى الفجر ، فيخرج إلى الحرم العلوى للصلاه والزيارة ، وبعدها يرجع إلى الدار فيفتر بالقليل من الطعام ويهجر هنيهة ، ثم يباشر الكتابة مرّة أخرى»<sup>(٣)</sup>.

ولم يترك الطهراني الكتابة والتأليف إلى آخر عمره ، فكثيراً ما قرأ ببعضنا تحت مقدمات ما يكتبه عبارة : «كتبه بيده المرتعشه في مكتبه الجانى الفانى الآقا بزرک الطهراني» ، فقد عاش هذا الشيخ خمساً وتسعين سنة ، وكانت يده في آخر سنوات عمره الشريف ترتعش ، وكان من أجل أن يكتب كتبه ومقالاته يشدُّ القلم بيده لكي لا يسقط منها ، وهو يكتب ولا يتوقف عن

(١) معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء ١٨٨/٢ ، الرقم ٣٠٢.

(٢) هي باللهجة النجفية السراج النفطي الذي يقال له بالعامية أيضاً : (اللاله).

(٣) عين على الذريعة : ٤٦٨.

ذلك .

وينقل أنه كان يمسك يمينه بيساره ويكتب لكي لا ترتعش ، وقد شاهده العلامة الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) والقلم مشدوداً بإصبعه وهو واضح يده تحت حنكه ليمسكها من الرعشة في الكتابة<sup>(١)</sup> .

وكان لا يشغله شيء عن عمله في تأليف **الذرية** ، فقد قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في تأييده للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء : «... إخوانني الكرام : لا أخال أنَّ أحداً من النجفيين وغيرهم لا يعلم بأنّي لم أشتراك في أي حفل من المحافل والحفلات التي تقام فيسائر المناسبات والحوادث العامة والخاصة ، ولم أقف خطيباً في أي نادٍ من الأندية علمية كانت أم أدبية ، وذلك لعجزي عن أمثال ذلك أولاً ، ولاشتغالي بما وقفت نفسي عليه وكرست حياتي لأجله ثانياً ، غير أنَّ هول المصاب وعظم الخطب أو قفاني هذا الموقف»<sup>(٢)</sup> .

هذا مع قلة في ذات اليد وشظف العيش ، فقد رأيت في مكتبه بأم عيني بعض مسوّدات كتابه **الذرية** وقد كتب بعضها على أكياس السكر والشاي السمراء القديمة التي كانت متداولة حينذاك ، وبعضها على حواشي الأوراق المطبوعة والفائضة من كتابه **الذرية والطبقات**<sup>(٣)</sup> .

(١) مرجع سابق : ٤٦٨ .

(٢) شيخ آقا بزرگ تهرانی ۹۹۹

(٣) مرجع سابق : ٤٦٨ .

وقد حظي كتابه *الذریعة إلى تصانیف الشیعہ* بشهرة واسعة وتلقّفته الساحة العلمية بتعطّش وافتتان ، وعني به الباحثون والعلماء حتّى لقد كُتبت حوله عشرات الكتب والمقالات بين استدراك واختصار وتصحیح ، وقد أحصى محمد حسين النجفي<sup>(١)</sup> في مقالة نشرها في مجلة میراث شهاب (ع ٧١، ٢٤٣-٢٢٥) بعنوان (در برتو الذریعة)<sup>(٢)</sup> ما نشر حول هذا الكتاب فبلغت ٦٤ عملاً.

يتحدث المعماري العالمي محمد مكية (ت ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م) عن ملابسات تأسيس مشروع جامعة الكوفة كمشروع علمي رياضي بعيد عن وصایة الحكومة المركزية في بغداد ، ويشير إلى أنّ من أوائل من بَكَرُوا في تأييد المشروع رئيس المجمع العلمي العراقي محمد رضا الشبيبي والسيد محسن الحكيم والشيخ آقا بزرگ الطهراني ، «كذلك التقيت بالشيخ آقا بزرگ الطهراني ، وهو من رجال العلم المشهورين في الحوزات الدينية الشيعية ، وقد استقبلنا بترحاب ومودة ، وأتذكر أنّه صعد بجسمه النحيل وما يحمل على كاهله من عقود طويلة السلم إلى رفوف مكتبه العامرة ليهدينا منها كتاباً من كتبه *لعله الذریعة إلى تصانیف الشیعہ* . وفي إحدى زياراتنا إلى النجف ، أنا والدكتور علي الوردي زرنا السيد الخوئي وجرب حوار معه حول مشروع

---

(١) من المحققین الشیاب النابھین والملتحقین بطلب العلوم الدينیة في مدينة قم المقدّسة ، له عدد من المقالات المنشورة في بعض المجلات المعنية بالتراث الإمامي .

(٢) وتعني : «في ظلال الذریعة» .

الجامعة ، وكان متواضعاً تواضع العلماء ، وعمد إلى محاورة علي الوردي فيما يكتبه في علم الاجتماع ، وفي تلك الزيارة سمعنا من الخوئي تبريكاته للمشروع<sup>(١)</sup> .

يقول مكية : «لفت انتباهي مكتبة العلامة الكبير الشيخ آقا بزرك الطهراني العامرة ، التي احتوت الآلاف المؤلفة من الكتب ، فمن صفحات كتبها ومخطوطاتها ألف موسوعته المعروفتين الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، وكتاب طبقات أعلام الشيعة . وقد سلف أن ذكرت تحمسه وانفعاله فرحاً بأن صعد السلم رغم تقدمه بالسنّ ونحول بدنـه إلى رفوف الكتب ليهدينا منها ، مع أنه يعرف بأنـنا لم نكن من أهل الالتزام الديـني ، وبصفتنا علمـانيـن ، لكنـ كان اللقاء والتـفاهم والـتعاطـف بينـا وبينـه حـمـيمـيـاً . فـما توافـر من طـيـة وـحسـنـيات وجـديـة في مشروع علمـي يـكـفيـ أنـ نـكونـ بمـفـهـومـ هذاـ العـالـمـ الجـلـيلـ ، الأقربـ إـلـيـهـ»<sup>(٢)</sup> .

ويـنقلـ الخطـيبـ السـيـدـ حـسـنـ الـكـشـمـيرـيـ<sup>(٣)</sup>ـ الـذـيـ قـرأـ فـيـ مـجـلسـ الشـيخـ آقاـ بـزرـكـ الطـهرـانـيـ ماـ يـزـيدـ عـلـىـ سـتـ سـنـاتـ مـتـواـصـلـةـ ، حيثـ كانـ لـديـ مجلـسـ أـسـبـوعـيـ فـيـ النـجـفـ الأـشـرـفـ يـقـامـ صـبـاحـ كـلـ يـوـمـ خـمـيسـ منـ كـلـ أـسـبـوعـ . يقولـ : «كانـ الشـيخـ آقاـ بـزرـكـ فـيـ غـاـيـةـ التـواـضـعـ بـحـيثـ آنـ مـنـ لـاـ يـعـرـفـهـ

(١) خواطر السنين . . . سيرة معماري ويوميات محلّة بغدادية : ٢٢٤ .

(٢) خواطر السنين : ٢٢٦ .

(٣) إذاعة طهران ، برنامج (مع الصادقين) . وقد طبع مؤخراً .

وهو يمشي في الطريق لا يميزه عن أي طالب علم مبتدئ ، كان عادياً في حركاته ، متسللاً في تصرفاته ، وقد كان يشعر بالاستئناس الغامر عندما كان يجلس في مكتبه تحوطه كتبه وأوراقه من كل ناحية ، وما دخلت عليه بيته إلا ووجدته غارقاً بين كتبه وأوراقه وهو منحنٍ وهو يكتب بأصابع مرتعشة . كان لا يملُّ من الكتابة والقلم ، وقد أوصى أن يحول بيته الذي كان لا يملك سواه إلى مكتبة عامة ، كما أوقف مكتبه الشخصية للمطالعة وأهل العلم».

ومن الصفات التي كنت ألاحظها في سلوك هذا المربي الكبير ، يقول الكشميري : «أنه كان لا يسمح بأن يقبل أحدٌ يده ، حتى أولاده وأسباطه ، وفي إحدى المرات وفيما كان نسيراً معاً لزيارة الحرم العلوى المطهر ، سأله مولاي لما كُلُّ هذا الإصرار على رفضكم تقبيل اليد ، فحبس أنفاسه وأجاب بهدوء : «أتعرفون السيد صادق ، قلت نعم أعرفه ، هو رجل من كبار العلماء والشعراء ومن فضلاء الحوزة العلمية ، فقال لي : كان السيد صادق أستاذى وقد تلمذت عليه وتأثرت بأخلاقه ، وكان من الأساتذة المحبوبين عندي ، وكان يرفض أن يقبل أحدٌ يده ، فسألته ذات السؤال الذي سألتني إيه ، فأجابني بيته شعر :

يد تُقبل لا يدرى بما صنعت      ولو دروا أبدواها القطع بالقبل  
ليست لها غاية ترجو النجاة بها      إلا ولاء أمير المؤمنين علي»

يقول السيد الكشميري : «كنت أشاهده حينما كان يزور مقام أمير المؤمنين ، كان يقرأ الزيارة بكل أعضائه ، وكان حينما يقف عند الضريح المقدس

يرتجف بخشوّع يقارب الانهيار شعوراً منه بعظمة الإمام وحباً فيه . وقد دفن بعد وفاته في منزله طبقاً لوصيّته ، والذي أوقفه كمكتبة عامة . لم يترك من حطام الدنيا درهماً واحداً ، وعاش في النجف أكثر من نصف قرن عيش الكفاف ، وكان دائماً مديناً للبقاء وصاحب المكتبة ، وأتذكّر أنه بعد وفاته جمع أثاث بيته حينها ولم يساوي إلا سبعة دنانير عراقية ، أي ما يعادل وقتها ٢١ دولار تقريباً ، هذا كلّ ماتركه هذا الرجل العظيم من مال» .

## ثانياً : التوأجد الإمامي في بلاد الحرمين

تعدّ (المدينة المنورة) في العصر الإسلامي الأول بمثابة المدرسة الأولى لل المسلمين ، فقد ظهرت أولى ملامح الحياة العلمية للمسلمين في هذه المدينة التي انطلقت منها المسيرة المظفرة لرسول الله ﷺ ، وفي عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكاملت مع ظهور المجتمع الإسلامي في (المدينة) ، واستمرّت إلى حياة الإمام الصادق ع ، «وكانت المدينة المنورة وطن الأول لفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فكان من فقهاء الصحابة بعد الإمام أمير المؤمنين والزهراء والحسنين ع : ابن عباس حبر الأمة وفقيهها ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وأبو رافع إبراهيم مولى رسول الله ع » .<sup>(١)</sup>

ومن التابعين تولّى جمع كثير من شيعة أمير المؤمنين ع حفظ السنة النبوية وتداولوها فيما بينهم ، ونقلوها إلى الأجيال التي تليهم بأمانة ، حتى قال الذهبي في ميزان الاعتدال : «فهذا - أي التشيع - كثر في التابعين وتابعיהם مع الدين والورع والصدق ، فلو ردّ حديث هؤلاء - أي الشيعة - لذهبت جملة الآثار النبوية» .<sup>(٢)</sup>

وكان أمير المؤمنين ع أول من صنّف في الفقه ، ودوّن الحديث

(١) مقدمة الشيخ محمد مهدي الأصفي لكتاب (رياض المسائل) ١١/١ .

(٢) ميزان الاعتدال ٥/١ .

النبي ، ولم يوافق عمر بن الخطاب على رأيه ؛ «عن السيوطي في تدريب الراوي قال : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم ، فكرهها كثير منهم ، وأباحتها طائفة وفعلوها : منهم : علي وابنه الحسن»<sup>(١)</sup> ، فكتب الجامعة وهي من إملاء رسول الله ﷺ وخط على عليه السلام ، وكان يبلغ سبعين ذراعاً ، وقد تواتر نقله في أحاديث الأئمة من أهل البيت عليهما السلام<sup>(٢)</sup> . وكان لسلمان مدونة في الحديث كما يقول ابن شهرآشوب . وعلى بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ كان من فقهاء الشيعة وخواص أمير المؤمنين عليه السلام . قال النجاشي : «وهو تابعي من خيار الشيعة ، كانت له صحبة من أمير المؤمنين ، وكان كاتباً له ، وحفظ كثيراً ، وجمع كتاباً في فنون الفقه كال موضوع والصلوة وسائر الأبواب ، وكانوا يعظمون هذا الكتاب»<sup>(٣)</sup> .

ومنهم : سعيد بن المسيب - وهو أحد الفقهاء الستة - والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، قال أبو أيوب : ما رأيت أفضل منه ، وفي كتاب الكافي عن يحيى بن جرير قال : قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : كان سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليهما السلام<sup>(٤)</sup> .

وبلغ هذا الازدهار الفكري غايته في عهد الإمام الصادق عليه السلام ، فقد

(١) تدريب الراوي ٢٦٥.

(٢) أعيان الشيعة ٢٩٠١.

(٣) رجال النجاشي : ٥.

(٤) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : ٢٩٩.

ازدهرت المدينة المنورة في عصر الإمام ، وزخرت بطلاب العلوم ووفود الأقطار الإسلامية ، وانتظمت فيها حلقات الدرس ، وكان بيته جامعة إسلامية يزدحم فيه رجال العلم وحملة الحديث من مختلف الطبقات يتلهلون موارد علمه . قال ابن حجر عن الإمام الصادق عليه السلام : نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر صيته في جميع البلدان ، وروي عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانيين وأبي حنيفة وشعبة وأبيوب السجستاني<sup>(١)</sup> .

من هنا «كانت المدينة المنورة في عهد الإمامين الباقي والصادق عليهما السلام مدرسة للفقه الشيعي ، ومركزاً كبيراً من مراكز الإشعاع العقلي في العالم الإسلامي . ويطول بنا الحديث لو أردنا أن نحصي عدد الفقهاء من الشيعة في هذه الفترة وما تركوا من آثار ، ويكتفي الباحث أن يرجع إلى كتب أعيان الشيعة ، ورجال النجاشي ، والكسبي ، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ليعرف مدى الأثر الذي تركه فقهاء الشيعة في هذه الفترة التي تقاد تبلغ قرناً ونصف قرن من تاريخ الإسلام في الدراسة الفقهية ، والمحافظة على السنة النبوية»<sup>(٢)</sup> .

ويتوارد حتى اليوم في (المدينة المنورة) أربع جماعات شيعية :

\* **النخاولة** : ومفردتها نحلي ، وهم من القبائل العربية ، وقد تداخل

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندة : ١٩٩ .

(٢) رياض المسائل ١٤/١ .

معهم عدد من أبناء القبائل الأخرى طلباً للحماية قبل نحو قرنين من الزمان مثل (العصارى) الذين يتّمدون إلى عنزة (بني أعصير). والنخاولة هم أكثر الشيعة عدداً وانتشاراً، وقد تعرّضوا للاضطهاد والأذى بسبب التحامّل الطائفي.

\* **الأشراف** : ويأتون بعد النخاولة في العدد ، وهم سادة بنى هاشم ، كما أنهم يتّشرون في مناطق أخرى غير المدينة المنورة ، مثل : مكة المكرمة وجدة والطائف والمدن الجنوبيّة .

قال صاحب **كنز الأنساب** : إنّ من بين من ينتمي إلى هذه القبيلة (الأشراف) في المنطقتين الغربية والجنوبية الحيادرة ، والسبة إليهم حيدريّة ، وهم بطن من بنى جعفر الصادق يعرفون ببني أيمان . وأآل إبراهيم ويسكنون ينبع النخل ، وأآل حسين مع قبيلة الظفير سادة حسيّيون .

وقد حكم الأشراف المناطق المقدّسة سنوات طويلة في القرون الماضية وحتى وقت قريب<sup>(١)</sup> .

\* **قبائل حرب وجهينة (الحروب)** : حيث اعتنق بعض أفرعها المذهب الشيعي (فرع بنى علي / الفريد ، وغيرهما) . وقد أشار أحد الكتاب إلى انتشار المذهب الشيعي بين قبائل حرب وجهينة .

\* **المشاهدة** : وهم من أصول عربية ويتواجدون في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، إلا أنّهم أقلّ الفئات عدداً ، ومن آل المشهدى الكاتب

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية . ٢١٠/٢٠

والروائي محمد بن عيسى المشهدي<sup>(١)</sup> .

وكانت إمارة المدينة المنورة للحسينيين كما كانت إمارة مكة للحسينيين ، لكن أمراء مكة تظاهروا بالتسنن فدام ملكهم إلى الربع الأول من القرن العشرين وكان آخرهم الملك حسين وابنه علي ، وأمراء المدينة تظاهروا بالتشييع فزال ملكهم للعصبية . ولم يذكر المؤرخون من أحوال أمراء المدينة إلا نتفاً يسيرة وربما كان للعصبية مدخل في ذلك ، ولم يذكرهم صاحب مجالس المؤمنين مع ذكره لكتير ممّن هم دونهم .

وفي صبح الأعشى : «وإمرتها [أي المدينة] الآن سنة ٧٩٩هـ (١٣٩٧م) متداولة بينبني عطية وبينبني جماز وهم جميعاً على مذهب الإمامية» . ويفهم من صبح الأعشى أنَّ أول من ولَّ إمرة المدينة مستقلًا بها طاهر أبو الحسين بن محمد الملقب بمسلم بن طاهر بن الحسن بن أبي القاسم طاهر ابن يحيى بن الحسن بن جعفر حجَّة الله ابن أبي جعفر عبدالله بن الحسين الأصغر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام . وكما كانت (المدينة المنورة) التي شهدت ميلاد المجتمع الإسلامي الأولى تزخر بالوجود الشيعي كذلك كانت (مكة المكرمة) المدينة التي تهفو لها قلوب المسلمين ، وفي أفيائها الطاهرة تسكن أقدس البقاع وأظهر الأمكنة ، وفي موسم الحجَّ تهافت إليهما جموع المسلمين القاصدين الحجَّ . ولقد ضمت مكة والقرى المحيطة بها أعداد من الشيعة ، ويظهر مما

عن الجامع اللطيف عند ذكره ولادة مكّة كثرة الشيعة فيها في القرن السادس الهجري ، فإنّه ذكر أنّ ممّن ولّي مكّة سيف الإسلام طغتكين أخي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٨١هـ (١١٨٥م) وأنّه قدم مكّة هذه السنة ومنع الأذان بـ (حي على خير العمل). ويظهر مما ذكره ابن حجر في أول الصواعق كثرتهم بها في القرن العاشر الهجري<sup>(١)</sup>.

وكذلك فإنّ السيد نور الدين علي العاملي أخو صاحب المدارك (ت ٦٨هـ) المتوفّي في مكّة ، «وقد كان ساكناً فيها ، ولا يسكنها وهو العالم الشيعي الكبير إلّا لوجود شيعي فيها»<sup>(٢)</sup> . وهذا ما يفسّر بقاءه في مكّة أكثر من عشرين سنة<sup>(٣)</sup> .

ويذكر السيد محسن الأمين عنه : «وكان في ذلك العصر الكلمة والغلبة بمكّة المكرّمة لعلماء الإمامية ، وكانت الإمامة في المسجد الحرام لهم كما يدلّ عليه كلام ابن حجر في أول صواعقه ، حيث ذكر أنّه التمس على أقرانها بمكّة حيث إنّ مجمع الروافض بها ، وقال : «طَهَّرَ اللهُ الْبَيْتَ مِنْهُمْ» . ويدلّ عليه أيضاً ما في تكميلة أمل الآمل من أنّ عنده نسخة من كتاب المحاسن للبرقي في أحاديث أهل البيت عليهم السلام بخطّ الإمام بمقام إبراهيم الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام بمكّة المشرفة السيد الشريف عبد الله بن محمد

(١) دائرة المعارف الشيعية ١٣٧/٢١.

(٢) المرجع نفسه ١٣٧/٢١.

(٣) أمل الآمل ١٢٥/١.

ابن علي الحسيني الطبرى فرغ من نسخها يوم الأحد المبارك من شهر جمادى الأولى من ١٠٤٤هـ (١٦٣٥).

وذكره السيد ضامن بن شدقم في كتابه وأثنى عليه وقال : منشئه في الشام ثم عطف عنان عزمه إلى البيت الحرام ، تشرفنا برؤيته مراراً بمكّة المكرّمة سنة ١٠٦٨هـ (١).

في المقابل ، نستتّجع مما ذكره زين العابدين بن نور الدين الحسيني الكاشاني من أعلام القرن الحادى عشر الهجري في **فرحة الأنام** في تأسيس بيت الله الحرام - وقد كان مجاوراً مكّة - أن سلطنة الحرمين الشريفين كانت بيد «المخالفين» ، أي من أهل السنة والجماعة<sup>(٢)</sup> . وعندما تحدّث الحسيني عن (صفة المسجد الحرام) قال : «وأمّا الأمكنة المبتدةعة للكل إمام من الأئمة الأربعه ولا حاجة إلى ذكرها»<sup>(٣)</sup> ، وفي ذلك إشارة إلى أنّ أروقة الحرم المكيّ كانت تشهد تدريساً لفقه المذاهب الأربعه بشكل رسمي ونظامي ، أمّا حلقات التدريس طبقاً للمذهب الشيعي الإمامي فقد كانت على الأرجح تتمّ في نطاق ضيق وبحذر شديد ، ورغم ذلك فإنّ عدم تطرق السيد الحسيني إلى حلقات الدرس الشرعي الإمامي ولو بإشارة خاطفة أمرٌ يسترعى الانتباه حقاً . من هنا يمكن القول أنّ محاولة السيد محسن الأمين إعطاء الوجود الإمامي في

---

(١) أعيان الشيعة ٢٨٩/٨ .

(٢) **فرحة الأنام** في تأسيس بيت الله الحرام : ٥٦ .

(٣) **فرحة الأنام** : ٩٧ .

الحجاز زخماً أكبر ، والمبالغة في تقدير حجمه في بلاد الحرمين أمر يتسم بعدم الدقة ، خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الفتن الطائفية التي اندلعت في بحر هذا القرن ، فقد انتشرت بين سكان مكة في ذلك الحين إشاعة مفادها أنَّ الشيعة لا يتم حجّهم في مذهبهم إلا إذا لوثوا الكعبة بالنجاسة ، وقد صدقَ الكثير من الناس هذه الإشاعة كما هي عادة الناس عند استفحال التعقب الطائفي لديهم ، وفي ٨ شوال ١٠٨٨هـ (٤ ديسمبر ١٦٧٧) وقعت فتنة طائفية في مكة المكرمة من جراء تلك الإشاعة ، نقل فيما يلي وصفاً لتلك الحادثة كما رواها رجل من أهل مكة شاهدها بنفسه ، حيث قال ما نصّه :

«وفي سنة ثمان وثمانين وألف يوم الخميس ثامن شوال منها وقع حادث غريب ، وكارثة عجيبة ، هو أنه وقع في ليلته أن لوث الحجر الأسود وباب الكعبة ومصلى الجمعة وأستار البيت الشريف بشيء يشبه العذرة في التبن والخبث ، فصار كل من يريد تقبيل الحجر يتلوث وجهه ويداه ، ففزع الناس من ذلك ، وضجت الأتراك واجتمعت ، وغسل الحجر والباب والأستار بالماء ، وبقي الأتراك والحجاج والمجاوروون في أمر عظيم ، وكان إذ ذاك رجل من فضلاء الأروام يلقب درس عام ، فكان يرى جماعة من الأراضي بالمسجد الحرام ، وينظر صلاتهم وسجودهم وحركاتهم عند البيت والمقام ، فيحترق لذلك ويتأوه ، فلما وقع هذا الواقع قال : ليس هذا إلا فعل هؤلاء الأراضي اللئام ، الذين يلزمون المسجد الحرام ، وكان حينئذ مع قضاء الملك العلام ، السيد محمد مؤمن الرضوي قاعداً خلف المقام ، يتلو كتاب الله ذي

(1)  $\text{V}_{\text{d}} = \text{V}_{\text{d}}^{\prime}$  (2)  $\text{V}_{\text{d}} = \text{V}_{\text{d}}^{\prime} - \text{V}_{\text{d}}$

ትክክለኛ የሚከተሉ ቅዱስ አድባር ተከተል ስለሚያደርግ ይችላል

• ۱۷

ગ્રંથ અનુષ્ઠાનિક રીત ..... ૫૮

كتابه فرحة الأنام من استياء شيخ الحرمين المكي من دور الكاشاني (مجتهد الرافضة)<sup>(١)</sup> في تأسيس الكعبة وإعادة إعمارها ما يعطي ظللاً لطبيعة الجو المحتقن طائفياً وقتها.

وقد ذكر الكاشاني أسماء عدد من علماء الإمامية الذين ساهموا في إعادة إعمار بيت الله الحرام بعد سقوط أمطار غزيرة شتاء عام ١٠٣٩ هـ (١٦٣٠) حينما دخل سيل عظيم في المسجد الحرام وغمر الكعبة، وأحدث دماراً كبيراً في الحرمين المكي، كما خلف خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، وهم: «محمد الحسين، وسيد أحمد بن محمد معصوم<sup>(٢)</sup>، ومحمد علي بن عاشور وأبوه، وحسن بن عبدالله السمناني المكي، ودرويش حيدر الكشميري، وميرزا خان الكشميري، وال حاج حسن علي الأربيلي، وال حاج معصوم بيك التبريزى، و حاجي محمد شفيع التبريزى و ولده إبراهيم بيك، والشيخ طائف رفيع السيد، ولدي أبو جعفر، وإسماعيل ابن شهيد أوغلي، والشيخ عبد علي وعبدان للفقير هما: مفلح ونافع»<sup>(٣)</sup>.

(١) فرحة الأنام: ٣٨.

(٢) والد السيد علي خان المدني صاحب (سلافة العصر)، والسيد أحمد كان تلميذاً للشيخ محمد أمين الاسترابادي، وأن وفاته كانت في سنة ١٠٨٦ هـ، خاتمة مستدرك الوسائل ٢٤٤/١.

(٣) فرحة الأنام: ١٠٩ - ١١١.

### ثالثاً : مظاهر النشاط العلمي في مكة والمدينة

تعددت الأسباب والبواعث التي كانت تدفع علماء الأمصار من مختلف بقاع العالم الإسلامي إلى اتخاذ المدينتين المقدستين : (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة) مكاناً للسكن والإقامة الدائمة أو المؤقتة ، وحيث إن الدراسة تستهدف بالبحث رصد مظاهر النشاط العلمي لعلماء الإمامية من الذين اتخذوا من هاتين المدينتين مقراً لإقامتهم ، فإننا سنحاول هنا إبراز أهم هذه الأدوار العلمية التي نهضوا بها في بلاد الحرمين ، من خلال الاستشهاد بمناذج محدودة نرى أنها تصلح إلى حد بعيد في الخروج باستنتاج قابل للتعيم وصولاً إلى نتائج معينة في الموضوع .

#### ١) المجاورة :

رغم اختلاف الدوافع وتبالين الأهداف التي كانت تدفع علماء الإسلام على مر العصور إلى الارتشاف الإيماني من ربوع أقدس البقاع وأطهرها في مكة والمدينة ، إلا أن المقطوع به أن هذه الفئة ساهمت بشكل كبير في إثراء الحركة العلمية ومدّها بأسباب النمو والازدهار ، وكما كانت الأهداف تبالي ، كانت المدة التي يرغب المسلم المتعطّش لقضائها مجاوراً بيت الله الحرام أو قبر النبي ﷺ طامحاً في التعرّض للنفحات القدسية المباركة تختلف بدورها ؛ فمن هؤلاء من ربط بقاءه بنهاية أداء النسك ، ومنهم من مكث فيها فترة من

الزمن راغبًا بالجوار ومستمتعًا براحة البال ، على أن يرحل منها بعد تحقيق الأهداف التي بقي من أجلها ، بيد أن فئة ثالثة من أولئك القادمين قد راموا الاستقرار الدائم فيها ليختموا حياتهم الدنيا في أقدس البقاع وأطهرها . وعلى الفتئين الأخيرتين أطلق لقب المجاورين .

وتزخر الروايات عن النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام من توجيهات حاثة على استحباب زيارتهم عليهم السلام ، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « بينما الحسين بن علي عليه السلام في حجر رسول الله عليه السلام إذ رفع رأسه فقال له : يا أبة ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال : يابنِي من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة ، ومن أتني أخاك زائراً بعد موته فله الجنة ، ومن أتني أخاك بعد موته فله الجنة ، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة » .<sup>(١)</sup>

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله عليه السلام : من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيمة » .<sup>(٢)</sup>

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله عليه السلام : من أتني مكّة حاجاً ولم يزرنـي بالمديـنة جفـوته يوم الـقيـمة ؛ وـمن زـارـنـي زـائـراً وجـبـتـ له شـفـاعـتـي ؛ وـمن وجـبـتـ له شـفـاعـتـي وجـبـتـ له الجـنـة ؛ وـمن مـاتـ في أحـدـ الـحرـمـينـ ؛ مـكـةـ أوـ المـديـنةـ لمـ يـعـرـضـ إـلـىـ الـحـسـابـ ؛ وـمـاتـ مـهـاجـرـاً إـلـىـ اللهـ ، وـحـسـرـ يومـ الـقـيـمةـ » .

(١) كامل الزيارات : ٩ .

(٢) كامل الزيارات : ١٠ .

مع أصحاب بدر<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن الحسين : قال : «قال رسول الله ﷺ : من زار قبرى

بعد موتي كان كمن هاجر إلى في حياتي ، فإن لم تستطعوا فابعثوا إلى  
السلام فإنه يبلغني»<sup>(٢)</sup>.

ولعل هذا ما يفسّر ظاهرة ازدهار حواضر العلم في العالم الإسلامي عند  
الإمامية بالقرب من مراقد الأئمة عليهم السلام في المدن المقدسة : المدينة المنورة ،  
النجف الأشرف ، كربلاء المقدسة ، قم المقدسة ، وخراسان ، والكاظمية.

ولقد ذكرنا أبرز من جاور المدينتين المقدسيتين مكة والمدينة من علماء  
الإمامية منهم : محمد الشدقمي المدني الحسيني وكان حافظاً للقرآن بالقراءات  
السبع<sup>(٣)</sup> ، وحيدر بن علي بن نجم الدين الموسوي العاملي (ت ١٠٦٣هـ /  
١٤٥٣م)<sup>(٤)</sup> ، والمير حسين القاضي<sup>(٥)</sup> ، وإبراهيم بن عبد الله الخطيب  
الإسترآبادي<sup>(٦)</sup> ، ونعمة الله بن علي بن أحمد الحسيني الحسني النسابة<sup>(٧)</sup>  
المجاور للمدينة المنورة وأخرين .

(١) كامل الزيارات : ١١ .

(٢) كامل الزيارات : ١٢ .

(٣) الروضة النضرة : ٥٢٣ .

(٤) الروضة النضرة : ١٩٤ .

(٥) الروضة النضرة : ١٧٨ .

(٦) الروضة النضرة : ٣ .

(٧) الروضة النضرة : ٦١٩ .

## ٢) طلب العلم :

لعل من أبرز الدوافع التي كانت تحرّك علماء الإسلام من مختلف المذاهب الإسلامية ، ومنهم علماء الإمامية للهجرة إلى (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة) هو الهدف العلمي ، فقد كانت المديستان المقدّستان تعجّان بنشاط علمي واسع ، كان فيه دور علماء الإمامية بارزاً ومؤثراً ، فهذا مصطفى بن محمد التبريزي صاحب **تحفة القراء وتحفة الأبرار** تشرّف بزيارة العتبات ثلاث مرات وللحجّ ثلاث مرات ، وفي الحجّ الثانية قرأ بمكة على إسماعيل القاري وقرأ في سائر أسفاره على جمّعٍ من قراء العرب مدّة ثلاثين سنة ، وكتب في حجّه الثالث ١٠٦٧هـ **التحفة** بين الحرمين راجعاً عن الحجّ ، ولمّا حجّ ورجع إلى إصفهان لازم خدمة مجتهد الزمان الأخوند الملا محمد الخراساني ، يراجع في مشكلاته ويأخذ منه أحكامه<sup>(١)</sup> .

وكان السيد مرتضى ابن المصطفى التبريزي تملّك نسخة تامة من أول (الأصول) إلى آخر (الروضة) في **الكافي** ، وقرأ أكثره على شيخه الملا محمد مؤمن ابن الشاه قاسم السبزواري ، فكتب شيخه إجازة مفصلة في آخره في ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) وذكر فيها من مشايخه محمد الشهير بننصر المحدث التونسي والحسن بن المشغري الروايين عن الميرزا محمد الرجالي الاسترابادي ، وقد قرأ عليه أيام مجاورتهما لمكة ، وثالثهما بدر الدين الحسيني العاملاني المدرس

---

(١) الروضة النضرة : ٥٦٥ - ٥٦٦

في الروضة الرضوية والراوي عن البهائي<sup>(١)</sup>.

وجاء في مجموعه التذكارات لبهاء الدين علي بن يونس الحسيني التفريسي التي كتبها في ١٠٢٤هـ (١٦١٥م) وقدمها لأستاذه محمد بن السبط، فكتب له: «بسم الله والحمد لله . يقول فقير عفو الله محمد بن الحسن العاملي إن السيد السندي ... ثم إني اشتغلت بما لابد منه من العلوم العقلية والنقلية على والدي جمال الدين الحسن رحمه الله وبعد ذلك على شيخي السيد شمس الدين محمد ابن أبي الحسن ... وبعد وفاتهما توجهت إلى مكة أقمت نحوً من خمس سنين مشغلاً في الحديث على الميرزا محمد الاسترابادي ... وفي أثنائها بما لابد منه من الأصول على السيد ... الأمير نصير الدين حسين رحمه الله ، مضافاً إلى ما لابد منه من العلوم على المولى ... محمد أمين ، وصرفت برهة في الاشتغال على بعض العامة ... إلى أن سهل الله الوصول إلى العبرات ... وصرت متظماماً في سلك أصحاب الإجازات تيمناً<sup>(٢)</sup>».

وقد أجاز علی رضا ابن آقا جانی من المیرزا محمد الاسترابادي الرجالی بمکة بعد قراءته عليه أكثر كتاب التهذیب ، فكتب شیخه له إجازة بخطه صورتها وهي في آخر النسخة هكذا:

«بسم الله والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فقد ذاكر المولى الفاضل الورع ، خلاصة الأفضل المtourّعين مولانا على رضا وفقه الله

(١) الروضة النضرة : ٥٥٩ - ٥٦٠ .

(٢) الروضة النضرة : ٥٢٠ .

لما يحبّ ويرضى أكثر كتاب تهذيب الأحكام وبحث تفتيش وتحقيق وإتقان في مدة من الزمان وكذلك جملة من بقية الكتب الأربع المنشورة في هذا الزمان، فلما لم يساعده على إتمامها حوادث الأيام أجزت له روايتها بطرقى المقرّرة وأعلاها ما نبهت عليه في كتب الرجال وإنما اكتفيت عن التفصيل بهذا الإجمال لضيق المجال وقرب الترحال، مشرطاً عليه الأخذ بطريق الاحتياط وملازمة الجادة الموظفة بين أولى الفضل والكمال. كتب ذلك العبد الفقير إلى رحمة ربّه الهدى محمد بن علي الاسترابادي في أواخر شهر ذي الحجّة الحرام بمكّة المكرّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفاً سنة ست عشرة بعد ألف سنة ١٤٠٦هـ (١٦٠٧م) حامداً مصلّياً على محمد نبيه وآلـه مسلّماً مستغفراً<sup>(١)</sup> عفي عنهما بـ«محمد وآلـه»<sup>(٢)</sup>.

وقد قرأ رحمة الله الكيلاني الحيدر آبادى مؤلف برهان القارئ في تحرير كلام الباري في مكّة على أحمد الجكمي، وكان نزيل حيدر آباد الهند وحجّ منها ١٤٠٢هـ (١٦٣٢م) وعاد إلى حيدر آباد ١٤٠٤هـ (١٦٣٥م)<sup>(٢)</sup>.

وقد تلمذ حسين العيناثي العاملى في مكّة على محمد أمين

(١) الروضة النصرة : ٣٩٨.

(٢) الروضة النصرة : ٢١٧.

الإسترآبادي<sup>(١)</sup> ، وهو أستاذ الحرّ العاملی و قد أجازه سنة ١٠٥١ھـ (١٦٤١م) كما ذكره في آخر الجواهر السنّية . وقال الحرّ العاملی<sup>(٢)</sup> : «كان فاضلاً عالماً ثقةً صالحًا زاهداً عابداً فقيهاً ماهراً شاعراً، قرأ عنده أكثر الفضلاء المعاصرین ، بل جماعة من المشايخ السابقین عليهم ، وأكثر تلامذته صاروا فضلاء علماء ببركة أنفاسه . قرأت عنده جملة من كتب العربية والفقیه وغيرهما من الفنون ، وممّا قرأت عنده أكثر كتاب المختلف ، وألّف رسائل متعددة وكتاباً في الحديث وكتاباً في العبادات والدعاء وهو أول من أجازني وكان ساكناً في بلدة جبع ومات بها . انتهى».

ويوجد بخطه في مكتبة (مدرسة البروجردي) في النجف الفوائد المدنية لأستاذه محمد أمين فرغ منه مؤلفه ١٠٣١ھـ (١٦٢٢م) وفرغ من كتابته نهار الأربعاء ٢٧ ذي الحجّة ١٠٤٧ھـ وكتب معه الإثنى عشرية الحجّية للبهائي في ١٠٢٥ھـ (١٦١٦م) ورسالة في عدم جواز تقليد الميت للشهيد الثاني . قال بعد ذكر نسبة : «المشتهر بابن الحسام العیناثی العاملی»<sup>(٣)</sup> .

كما سافر جمال الدين ابن نور الدين على الجبّعي الموسوي العاملی (ت ١٠٩٧ھـ / ١٦٨٦م) ، قال الحرّ العاملی : «عالِم ، فاضل ، مدقق ، ماهر ،

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء . ٤٤/١ .

(٢) أمل الأمل . ٧٠/١ .

(٣) الروضة النضرة : ١٧٣ - ١٧٤ .

أديب شاعر، كان شريكتنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا، سافر إلى مكة وجاور بها ثم إلى مشهد الرضا عليهما السلام ثم إلى حيدر آباد وهو الآن ساكن بها، مرجع لفضائلها، وله شعر كثير ومعميات، وله حواشٍ كثيرة، وأورد جملة من أشعاره<sup>(١)</sup>.

كما جاور مكة محمد باقر السبزواري، ابن محمد مؤمن (ت ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م) في عام ١٠٦٢هـ (١٦٥٢م)، وقد وصفه الحر العاملي بـ: «العالم الفاضل الحكيم المتكلّم، الجليل القدر» وهو من المجتهدين المتبحرين في علوم الدين وسائل الفنون والعلوم وأصناف المنطق والمفهوم. وله الرواية عن محمد تقى المجلسي (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م) وعن نور الدين علي بن علي بن حسين بن أبي الحسن العاملي (ت ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م)، وكان يدرّس بإصفهان بالمدرسة (السميعية) وأوقف لها مكتبة فاشتهرت المدرسة بعد تدريسه فيها باسمه<sup>(٢)</sup>.

كما كان للميرزا محمد أمين الاسترابادي صاحب **الفوائد المدنية** والفوائد المكية دور تعليمي مهم في مكة والمدينة، فقد جاور المدينة ثم مكة وبها توفي سنة ١٠٣٦هـ (١٦٢٧م)، عنه أخذ جم غفير من العلماء

(١) الروضة النضرة : ١٢٢.

(٢) الروضة النضرة : ٧١ - ٧٢.

وتلّمذوا عليه ، وله إجازته بخطه لِتلميذه المير عبدالهادي الحسيني التستري  
كتبها له على ظهر الفقيه بعد قراءته عليه في ١٠٢٩هـ (١٦٢٠م) .

وممّن كان لهم دور تعليمي مهم: حسن العاملي ، ويظهر من إجازة  
محمد مؤمن ابن شاه قاسم السبزواري (ت قبل ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م) لمير  
مرتضى بن مصطفى التبريزى التي كتبها في ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) له بخطه  
الجيد: «إني قد قرأت معظم الكتب الأربعية على شيخي ومعتمدي وثقتي  
المبرور المرحوم الفاضل النقى محمد الشهير بن نصر المحدث التونى ج ، ثم  
قابلت بعض ما بقى منها مع الشيخ المرحوم المغفور الورع التقى النقى الكامل  
الشيخ حسن بن المشغري وهما قد قرأ الكتب الأربعية وغيرها مدة مجاورتهما  
بيت الله الحرام على الشيخ السعيد الفاضل الكامل الميرزا محمد الاسترابادي  
الذي يروي عن الشيخ إبراهيم بن علي بن عبدالعالى الميسى» . كما قرأ على  
الميرزا الاسترابادي (ت ١٠٢٨هـ / ١٦١٩م) مؤلف كتاب الرجال أوان مجاورته  
بمكة .<sup>(٢)</sup>

وكان الدرس الفقهي الذي يتّخذ من كتب (ال الحديث ) و(الرواية) محوراً  
للعملية التعليمية مزدهر بشكل ملحوظ ، وينقل الحَرَّ العاملِي في ترجمته

(١) الروضۃ النُّضُرَۃ : ٥٦ .

(٢) الروضۃ النُّضُرَۃ : ١٤٩ - ١٥٠ .

لأحمد ابن الحسين النباطي العاملبي أَنَّهُ : «كَانَ عَالَمًا فَاضِلًا أَدِيَّا صَالِحًا عَابِدًا وَرَعِيًّا ، وَكَانَ شَرِيكَنَا فِي الدِّرْسِ حَالَ الْقِرَاءَةَ عَلَى زَيْنِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الشَّهِيدِ وَالْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ يُونُسِ الظَّهِيرِيِّ الْعَامِلِيِّ وَالْعَمِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْحَرَّ الْعَامِلِيِّ فِي مَكَّةَ وَتَوَفَّى بِالْبَطْرِيَّةِ فِي ١٠٧٩هـ» .<sup>(١)</sup>

ويذكر الحسيني الكاشاني ، زين العابدين بن نور الدين بامتنان شديد تأثير زوجته وأُمّه محمد الباقر ، «سَكِينَةُ بَيْكُمْ رَحْمَهَا اللَّهُ الَّتِي كَانَتْ مَعِيْتِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِمَكَّةِ الْمُعَظَّمَةِ»<sup>(٢)</sup> وقد ماتت ودفنت في مكة .

كُلُّ ذَلِكَ يُؤكِّدُ أَنَّ عُلَمَاءِ الإِمامَيْةِ شَارَكُوا فِي الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ بِفَعَالِيَّةٍ فِي الْحَيَاةِ الْعَلْمِيَّةِ فِي مَكَّةِ الْمُكَرَّمَةِ وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، مُسْتَفِيدِيْنَ مِنْ وَجُودِ كَبَارِ الْعُلَمَاءِ مِنْ مُخْتَلِفِ الْمَذاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَافَّدُونَ دُونَ اِنْقِطَاعٍ لِأَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجَّ وَزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ لِمَجاوِرَةِ هَاتِينِ الْبَقْعَتَيْنِ الْمَقْدِسَيْنِ .

### ٣) التصنيف العلمي :

لَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ الْمَظَاهِرِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُودِ حَرْكَةِ عِلْمِيَّةٍ نَشِطَةٍ فِي مَكَّةَ

(١) الرُّوضَةُ النَّضْرَةُ : ٣٨ ؛ رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ ٢٧٤/٣ .

(٢) فَرْحَةُ الْأَنَامِ : ١٠٧ .

والمدينة المنورة في غضون القرن الحادي عشر هو كثافة ما صنفه العلماء المسلمين من كتب ومصنفات علمية في مختلف العلوم الإسلامية وعلى رأسها الفقه والحديث والتفسير والتاريخ وعلم الرجال والترجم وعلم الفلك والطب والحساب واللغة.

ومن أبرز علماء الإمامية المصنفين عبدالنبي بن سعد الجزائري (ت ١٠٢١هـ/١٦١٢م) ، الذي كتب في المدينة المنورة بأمر شمس الدين بن علي الشدقمي المدني شرحاً على إرشاد الأذهان عُرف بـ: **الاقتصاد في شرح الإرشاد**<sup>(١)</sup>.

كما صنف محمد أمين الاسترابادي (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) **الفوائد المدنية والفوائد المكّية** ، حيث كان متصلباً في الأخبارية ضدّ الأصوليين وأهل العقل ، ويظهر من فوائده المدنية أنّ له **شرح أصول الكافي** و**شرح الاستبصار** و**شرح تهذيب الأحكام** ، وقد ردّ على المحقق الدواني والمولى صدراً في حواشيهما على **شرح التجريد** ، وله رسالة في البداء وأخرى في طهارة الخمر ونجاستها ، وجواب مسائل الحسين الظهيري العاملی ، و(دانش نامه) فارسي في مسائل كلامية متفرقة ، والمسائل الكلامية الثلاث في : (علم الله) و(ربط الحادث بالقديم) و(أفعال العباد) . وقد شاهد الشيخ يوسف

---

(١) الروضة النبرة : ٢٦٧ - ٢٦٨ .

البحرياني له حاشية بعض أبواب الطهارة من المدارك<sup>(١)</sup>.

كما ألف أحمد المكي ابن شهاب الدين الفضل بن محمد باكثير في مكة عام ١٠٢٧هـ (١٦١٨م) كتابه **وسيلة المال في عد مناقب الآل** أخرج فيه مناقب أمير المؤمنين عليه السلام من كونه أخاً للرسول ووصيّاً وزيراً له وغير ذلك من عقائد الشيعة ، والله العالم بالسرائر<sup>(٢)</sup>.

كما وضع خضر الموصلي (ت ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩م) نزيل مكة المعظمة كتابه **الإسعاف** في ١٠٠٣هـ (١٥٩٥م) ، ويظهر من الإسعاف كونه إمامياً كما في نسخة موجودة في مكتبة مدرسة (سپهسالار)<sup>(٣)</sup>.

كما وضع الملا خليل القزويني (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) بعض المصنفات التي كتبها في مكة المكرمة ، ويذكر الحر العاملي<sup>(٤)</sup> أنه كان «فاضلاً ، عالمة ، حكيمًا ، متكلّماً ، محققاً مدققاً ، فقيهاً ، محدّثاً ، تقةً ، جاماً للفضائل ، ماهراً ، معاصرأ ، له مؤلفات ؛ شرح الكافي فارسي وشرح عربي وشرح عدة الأصول ورسالة الجمعة وحاشية مجمع البيان والرسالة القمية

(١) أمل الآمل ١١٢/٢.

(٢) الروضة النضرة : ٣٧ - ٣٨ .

(٣) الروضة النضرة : ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٤) الروضة النضرة : ١٩٩ - ٢٠٠ .

والمحمل في النحو ورموز التفاسير الواقعة في الكافي والروضة . رأيته بمكة الحجّة الأولى كان مجاوراً بها مشغولاً بتأليف حاشية مجمع البيان»<sup>(١)</sup> .

ومن المصنّفين الإمامية شمساً الجيلاني الإصفهاني وهو من الذين وفقوا لمجاورة بيت الله الحرام ، وتركوا تراثاً غزيراً ومتنوّعاً ، ومن مصنّفاته : إثبات الواجب وأسئلة سأّلها عن أستاذه ملا صدرا (ت ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م) والتحقيقات الّفها سنة ١٠٤٥ هـ (١٦٣٥) وحدوث العالم وتفسير هل أتى ، والحاشية على الشرح الجديد والقديم للتجريد ، والحاشية على شرح حكمة العين ، والحاشية على كتاب المعلم واسمها فصول الأصول ، والحكمة المتعالية ، ودفع شبهة ابن كمونة ، وشرح خلاصة الحساب لأستاذ البهائي والعلم الإلهي أو النورية الّفها بمكة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨) ، وتوجد رسالته في علم الواجب ، ورسالته في الوجود عند صدر الدين بن الشيخ أحمد الناهضي في النجف ذكر في آخره : «أنه تمّ على يد مؤلفه أقلّ العباد ، المجاور بمكة خير البلاد ، وزادها الله تعالى خيراً وشرفاً إلى يوم الميعاد ، أفقر خلق الله الغني محمد المشتهر بـ: شمساً الجيلاني غفر الله له ولوالديه ولجميع من له حقّ عليهم أو عليه في تاريخ ١٠٤٨ هـ حامداً مصلياً مستغفراً»<sup>(٢)</sup> .

وللبحث صلة ...

(١) الروضة النضرة : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) الروضة النضرة : ٢٦٦ - ٢٦٧ .